

من الذى أسس كنيسة روما؟

من وجهة نظر الكنيسة القبطية الأرثوذكسية

بقلم الأنبا بيشوى

مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى

أ- من هو مؤسس كنيسة روما؟

فى كتابه "ناظر الإله الإنجيلى مرقس الرسول القديس والشهيد"، قدّم قداسة البابا شنودة الثالث دراسة قيمة جداً فى هذا الموضوع نقتبس منها ما يلى:^١

١- بولس هو رسول الأمم، وبطرس رسول الختان:

إن مدينة روما هى بلا شك مدينة أممية وليست يهودية. فهى إذن تقع فى اختصاص القديس بولس الذى قال: "أَنِّي أَوْثَمَنْتُ عَلَىٰ إِنْجِيلِ الْغُرْلَةِ كَمَا بَطْرُسُ عَلَىٰ إِنْجِيلِ الْخِتَانِ، فَإِنَّ الَّذِي عَمِلَ فِي بَطْرُسَ لِرِسَالَةِ الْخِتَانِ عَمِلَ فِيَّ أَيْضًا لِلْأُمَّمِ" (غل ٢: ٧، ٨).

وتخصص بولس الرسول للأمم كان من الرب نفسه. إذ يذكر سفر أعمال الرسل أن الرب قال لبولس: "أَذْهَبْ فَإِنِّي سَأُرْسِلُكَ إِلَى الْأُمَّمِ بَعِيداً" (أع ٢٢: ٢١).

بل إن الكتاب المقدس-بعد أن يوضح أن بولس هو رسول الأمم عامة- يخصص أنه لايد أن يحمل اسم المسيح مبشراً به فى رومية بالذات، وهى عاصمة الأمم وقتذاك. وهكذا شهد الكتاب بأن بولس الرسول: "وَقَفَ بِهِ الرَّبُّ وَقَالَ: ثِقْ يَا بُولُسُ لِأَنَّكَ كَمَا شَهِدْتَ بِمَا لِي فِي أُورُشَلِيمَ هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ تَشْهَدَ فِي رُومِيَّةٍ أَيْضاً" (أع ٢٣: ١١).

إذن تأسيس كنيسة روما من جهة المنطق ومن جهة شهادة الكتاب المقدس، هو عمل من أعمال بولس الرسول بالذات، على اعتبار أن الرب قد أرسله بنفسه إلى الأمم، وكلفه بالشهادة له فى روما بالذات،

^١ "ناظر الإله الإنجيلى مرقس الرسول القديس والشهيد" بقلم قداسة البابا شنودة الثالث، مطبعة الأنبا رويس بالعباسية، الطبعة العاشرة ٢٠٠٦ صفحات ٣٦-٤٢، ٣٣-٣٥.

وأصبح الروح يعمل فيه للأمم كما يعمل في بطرس لرسالة الختان. وهكذا صار بولس الرسول هو المؤتمن على إنجيل الغرلة (أى غير المختونين أى الأمم).

على أن البعض يزعمون أن القديس بطرس قد أصبح رسولاً للأمم أيضاً عندما عمد كرنيليوس قائد المائة الرومانى حوالى عام ٤٠م... وواضح أن هذه مجرد حادثة فردية لا تعنى مطلقاً أن بطرس رسول الأمم. ولم تكن هى الحادثة الأولى من نوعها، فعماد الخصى الحبشى كان حوالى سنة ٣٧م أى قبل ذلك بثلاث سنوات. كما أن الرسالة إلى غلاطية التى كتبت بين عامى ٥٦م، ٥٧م تقريباً، أى بعد عماد كرنيليوس بحوالى ١٦ سنة، لم تعتبر بطرس رسولاً للأمم، بل ذكرت هذه الرسالة أنه رسول للختان على الرغم من تعميده لكرنيليوس. كما ذكرت هذه الرسالة أن بولس هو رسول الأمم المؤتمن على إنجيل الغرلة...

٢- رسالة بولس الرسول إلى رومية:

تدل هذه الرسالة على شعور بولس الرسول بالمسئولية نحو رومية، كما تدل على عمق صلة المحبة والشركة فى العمل التى كانت بينه وبين كثير من المؤمنين فى رومية، الذين عرفوا الرب من قبل، إما فى يوم الخمسين، أو عن طريق صلتهم ببولس لما تشرذوا من رومية سنة ٤٥م فى عهد اقلوديوس قيصر.

وفى هذه الرسالة يرسل القديس بولس سلامه إلى عدد ضخم من الشخصيات التى يعرفها فى رومية، وبينه وبينها صلوات وثيقة... إذ يقول: "سَلِّمُوا عَلَى بَرِيَسْكَلاَ وَأَكِيلاَ الْعَامِلَيْنِ مَعِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، الَّذِينَ وَضَعَا عُقُوبَتَهُمَا مِنْ أَجْلِ حَيَاتِي... وَعَلَى الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي بَيْتِهِمَا. سَلِّمُوا عَلَى أَبِيئْتُوسَ حَبِيبِي... سَلِّمُوا عَلَى مَرْيَمَ الَّتِي تَعَبَتْ لِأَجْلِنَا كَثِيرًا. سَلِّمُوا عَلَى أَنْدْرُونِكُوسَ وَيُونِيَّاسَ نَسِيبِيَّيِ الْمَأْسُورَيْنِ مَعِي. سَلِّمُوا عَلَى أُمْبِلِيَّاسَ حَبِيبِي فِي الرَّبِّ. سَلِّمُوا عَلَى أُوْرِيَانُوسَ الْعَامِلِ مَعَنَا..." وذكر بعد ذلك أسماء كثيرة من أحبائه وتلاميذه (رو ١٦: ٣-١٦).

كلها صلوات وثيقة بينه وبين رجال ونساء خدمهم، فصاروا من أعوانه وأحبائه، وباتوا يترقبون مجيئه إليهم بفارغ الصبر، لكى يمنحهم هبة روحية لثباتهم (رو ١: ١١). على أن ذهابه إليهم تأخر بعض

الوقت بسبب سجنه في قيصرية حوالى سنتين. ولم يستطع الوصول إليهم إلا حوالى سنة ٦٠م بعد رحلة بحرية شاقة.

٣- الرسول بولس يكرز في روما:

يروى سفر أعمال الرسل أن بولس الرسول وصل إلى رومية، وتقابل مع وجهاء اليهود فيها (أع ٢٨: ١٦، ١٧).

ويبدو أنه إلى ذلك التاريخ (سنة ٦٠م) لم تكن كلمة الكرازة قد وصلت إليهم، بل كانوا بعيدين عن المسيحية. وقد سألوا عنها بولس قائلين: "تَسْتَحْسِبُ أَنْ نَسْمَعَ مِنْكَ مَاذَا تَرَى لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ عِنْدَنَا مِنْ جِهَةِ هَذَا الْمَذْهَبِ أَنَّهُ يُقَاوَمُ فِي كُلِّ مَكَانٍ" (أع ٢٨: ٢٢). ولما شرح لهم بولس الرسول شاهداً بملكوت الله، ومقنعاً إياهم من ناموس موسى والأنبياء، حدث شقاق بينهم "وَانصَرَفُوا وَهُمْ غَيْرُ مُتَّقِينَ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ"، حتى وبخهم الرسول بقول الروح القدس عنهم على فم أشعياء النبي: "سَتَسْمَعُونَ سَمْعاً وَلَا تَفْهَمُونَ وَسَتَنْظُرُونَ نَظْراً وَلَا تُبْصِرُونَ. لِأَنَّ قَلْبَ هَذَا الشَّعْبِ قَدْ غَلَطَ وَبَادَانِهِمْ سَمِعُوا ثَقِيلاً وَأَعْيُنُهُمْ أَغْمَضُوهَا" حتى أن بولس الرسول ختم حديثه معهم بقوله: "فَلْيَكُنْ مَعْلُوماً عِنْدَكُمْ أَنَّ خَلَاصَ اللَّهِ قَدْ أُرْسِلَ إِلَى الْأُمَّةِ وَهُمْ سَيَسْمَعُونَ" (أع ٢٨: ٢٣-٢٨).

فلو كان حتى اليهود الذين في رومية لا يعرفون شيئاً عن المسيح إلى سنة ٦٠م، فأين كانت إذن كرازة القديس بطرس هناك، لو كان قد ذهب حقاً إلى هناك وكرز باسم المسيح؟! وكيف يمكن تفسير قول الذين قالوا أن مار بطرس قد ذهب إلى روما سنة ٤٢م أو سنة ٤٩م؟! وهل يعقل أن يكون القديس بطرس قد كرز في رومية حوالى ١٨ سنة أو ١٢ سنة، ومع ذلك عندما يذهب بولس إلى هناك يجد الناس لا يعرفون عن المسيحية شيئاً؟! إنها إهانة لعمل روح الرب في هذا الرسول العظيم الذى بعظه واحدة في يوم الخمسين اجتذب إلى الرب ٣٠٠٠ شخصاً اعتمدوا جميعاً...

ولكننا نقول إن الذى كرز في روما بلا شك هو بولس الرسول الذى يقول عنه الكتاب بكل وضوح أنه أقام في رومية "سَنَتَيْنِ كَامِلَتَيْنِ فِي بَيْتٍ اسْتَأْجَرَهُ لِنَفْسِهِ. وَكَانَ يَقْبَلُ جَمِيعَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ إِلَيْهِ، كَارِزاً بِمَلَكُوتِ اللَّهِ وَمُعَلِّماً بِأَمْرِ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ بِكُلِّ مَجَاهَرَةٍ بِلَا مَانِعٍ" (أع ٢٨: ٣٠، ٣١). وبهذا الخبر العام يختم لوقا البشير سفر أعمال الرسل.

في هاتين السنتين استطاع بولس الرسول أن يؤسس كنيسة قوية في روما... إلى أن مثل أمام المحكمة ليحاكم من أجل التهمة التي حضر بسببها إلى رومية. وتكاد تؤكد جميع الأدلة التاريخية أنه قد بُرئ في تلك المحاكمة، وأُطلق سراحه، فاستمر يخدم سنوات أخرى في حرية، في رومية وفي غيرها، حتى قُبض عليه ثانية واستشهد على يد نيرون حوالي سنة ٦٧م.

٤ - القديس بولس يكتب رسائل من رومية:

ومن رومية كتب بولس الرسول عدة رسائل...
من رومية كتب رسالته إلى أهل أفسس على يد تيخيكس.
ومن رومية كتب رسالته إلى أهل فيلبى على يد أبفروتس.
ومن رومية كتب رسالته إلى كولوسى بيد تيخيكس وأنسيموس.
ومن رومية كتب رسالته إلى فليمون بيد أنسيموس الخادم.

٥ - بولس لا يبني على أساس وضعه آخر:

إن تبشير بولس الرسول في رومية، واستنجاهه بيتاً هناك يركز فيه بالملكوت، ويقبل كل الذين يدخلون إليه، معلماً بكل مجاهرة بلا مانع، لدليل أكيد على أن بطرس لم يكن قد ذهب إلى رومية بعد، خاصة وأن بولس الرسول يقول بصراحة عن كل خدمته للأمم وتبشيره بإنجيل المسيح: "كُنْتُ مُحْتَرِصاً أَنْ أُبَشِّرَ هَكَذَا: لَيْسَ حَيْثُ سُمِّيَ الْمَسِيحُ لِئَلَّا أُبْنِيَ عَلَى أَسَاسٍ لِآخَرَ" (رو ١٥ : ٢٠). فلو كان بطرس قد وضع أساس كنيسة روما، ما كان بولس قد بنى عليه.

من غير المعقول أن يكسر مبدأ الكرازي في روما، ويتعدى على اختصاصات بطرس لو كانت روما حقاً إيبارشية بطرس!!.

فإن ثبت بذلك أن بطرس لم يكن قد ذهب إلى رومه حتى سنة ٦٢م. حيث كان بولس يبشر فيها فمتى ذهب بطرس إذن إلى روما!؟

٦ - هل ذهب بطرس إلى روما ومتى؟

أ - المعروف أن القديس بطرس قضى كل بشارته فى المشرق. فبعد أن بشر فى اليهودية ذهب إلى أنطاكية، ثم توجه إلى بنطس وغلطية وكبادوكية وآسيا وبثينية.

وهكذا أرسل فيما بعد رسالته إلى المغتربين من شتات هذه المناطق (ابط ١: ١).

ب- ومع أنه لم ترد فى الكتاب المقدس آية واحدة صريحة تثبت ذهاب بطرس إلى روما أو تبشيرها فيها، لكننا نعرف من التقليد أنه استشهد فى روما فى عهد نيرون الظالم وربما حوالى سنة ٦٧م. أو قبل ذلك بقليل.

ج- وتختلف أقوال المؤرخين فى سبب ذهابه إلى روما. فغالبية المؤرخين يذكرون أن نيرون قد قبض عليه باعتباره من قادة المسيحيين، ونُقل إلى روما لمحاكمته. ويرى العلامة أوريجانوس أن القديس بطرس ذهب إلى روما فى أواخر أيام حياته لمقاومة سيمون الساحر، وأياً كان سبب ذهابه إلى روما: سواء كانت ذلك لمحاكمته، أو لمطاردة سيمون، أو لكليهما، فإن ذهابه إلى روما لم يكن على أية الحالات لغرض تبشيرها أو تأسيس كنيستها. فإن كنيستها كانت قد تأسست بواسطة بولس الرسول كما قلنا، بينما أن القديس بطرس لم يذهب إليها إلا فى أواخر حياته حوالى سنة ٦٥م تقريباً.

د - لذلك نتلقى بمزيد من الدهشة والعجب ما يقوله بعض الكاثوليك من أن بطرس الرسول استقر فى روما ٢٥ سنة (من سنة ٤٢ إلى ٦٧م)!! وكل ذلك دون أى سند من الكتاب المقدس أو من التاريخ!! مع ملاحظة عمل بولس الرسول الواضح فى سفر أعمال الرسل وفى رسالته إلى رومية.

هـ - وفى الرد على هذا الإدعاء، نذكر الحقائق الآتية:

• يجمع المؤرخون على أن بطرس كان سجيناً فى أورشليم سنة ٤٤م، فكيف كان فى روما فى ذلك الوقت؟!

• ومن المعروف أن كلوديوس قيصر نفى جميع اليهود والمسيحيين من روما سنة ٤٥م وقد أشار سفر الأعمال إلى هذه الواقعة (أع ١٨: ٢). فمن غير المعقول أن يكون بطرس قد ذهب إليها فى تلك السنة.

- لذلك يقترح البطريرك مكسيموس مظلوم أن يكون بطرس قد ذهب إلى روما سنة ٤٩م. وهذا أيضاً غير معقول لأنه في حوالى سنة ٥٠م كان حاضراً مجمع الرسل فى أورشليم.
- ومن غير المعقول أن يكون بطرس قد ذهب إلى روما قبل سنة ٥٧م أو ٥٨م حينما كتب بولس الرسول رسالته إلى أهل رومية طالباً أن تتاح له فرصة أن يذهب إليهم لتبشيرهم بالإنجيل "لِيَكُونَ لِي ثَمَرٌ فِيكُمْ أَيْضاً كَمَا فِي سَائِرِ الْأُمَمِ" قائلاً لهم: "فَهَكَذَا مَا هُوَ لِي مُسْتَعَدٌّ لِتَبَشِيرِكُمْ أَنْتُمْ الَّذِينَ فِي رُومِيَّةٍ أَيْضاً. لِأَنِّي لَسْتُ أَسْتَحِي بِإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ لِأَنَّهُ قُوَّةٌ لِلَّهِ لِلْخَلَاصِ" (رو ١: ١٣-١٦) وهذا دليل على أن بطرس لم يكن قد بشرهم بعد بالإنجيل، وإلا ما كان يطلب بولس أن يذهب إليهم لتبشيرهم.
- ولما أرسل بولس رسالته إلى رومية حوالى سنة ٥٨م، وسلم على عدد كبير من الناس هناك، منهم عشرون شخصاً وأسرتان، لم يذكر اسم بطرس ضمن الذين سلم عليهم مما يدل على أنه لم يكن فى رومية فى ذلك التاريخ.
- وعندما وصل بولس الرسول إلى رومية حوالى سنة ٦٠م، لم يذكر الكتاب أنه تقابل مع بطرس هناك، بل أن المقابلة بين بولس ووجهاء اليهود فى رومية دلت على أنهم ما كانوا يعرفون شيئاً عن الدين المسيحى، وذلك يدل على أن القديس بطرس لم يكن قد بشرهم باسم المسيح بعد. وهكذا قضى بولس سنتين يبشرهم ويؤسس الكنيسة. فإن كان بطرس قد وصل بعد هاتين السنتين (أى بعد سنة ٦٢، أو سنة ٦٣م)، فمعنى ذلك أنه وجد كنيسة مؤسسة ثابتة على يد بولس الرسول.
- نلاحظ أيضاً أنه فى كل الرسائل التى أرسلها بولس الرسول من رومية لم يذكر اسم القديس بطرس، مما يدل على أنه لم يكن موجوداً فى ذلك الوقت فى رومية.
- يضاف إلى كل هذا أنه لا يمكن أن للعقل أن يصدق أن القديس لوقا كاتب سفر أعمال الرسل الذى لم يغفل تسجيل حلاقة رأس بولس فى كنخيريا (أع ١٨: ١٨)، يغفل ذهاب بطرس إلى روما وقضاءه ٢٥ سنة هناك (!!) وتأسيسه كنيسة عاصمة الإمبراطورية (!!) لو كان شئ من ذلك حدث فعلاً.
- لذلك كله نُرجح رأى أوريجانوس أن بطرس الرسول أتى إلى رومية فى أواخر حياته (تقريباً حوالى سنة ٦٥م) لمطاردة سيمون الساحر وقُبض عليه فى رومية واستشهد هناك.

٧- هل إنجيل مرقس هو عظات بطرس فى روما؟

إن كان بطرس لم يكرز فى روما فلا محل إذن للقول بأن مار مرقس قد ساعد بطرس الرسول فى تبشير روما، ولا محل إذن للقول المغلوط المنسوب إلى بابيلاس فى أن مار مرقس كتب إنجيله لأهل رومية ليسجل لهم ما سبق أن تعلموه وسمعوه من بطرس.

القضية إذن مزعزة من أساسها... إن كان بطرس الذى يُنسب إليه تأسيس الكنيسة، لم يكرز هناك، فمرقس الذى يُقال أنه سجل عظات بطرس هناك لا يكون قد سجل شيئاً!!..

مار مرقس مع بولس الرسول

صحب مار مرقس القديس بولس الرسول فى رحلته الأولى كما ذكرنا ثم فارقه عند برجة بمفيلية. فتضايق بولس الرسول من هذا الأمر، ولكنه عاد فشعر بأهمية مرقس الرسول له فى الخدمة. ومن ذلك الحين صار مرقس الرسول من أشد الناس التصاقاً بالقديس بولس.

فعمل مع القديس بولس ومع معاونيه ارسترخس وأبرافس وتيخيكس ولوقا وديماس (قبل أن يضل) وغيرهم من أعمدة الكنيسة. وفى رحلة بولس الرسول إلى فليمون يذكر القديس مرقس فى مقدمة "العاملين معه" (فل ٢٤). وهكذا ذهب مار مرقس إلى كولوسى بتوصية مع القديس بولس ثم تقابل مع القديس تيموثيئوس فى أفسس.

واشترك مع القديس بولس فى تأسيس كنيسة روما.

وعندما كان رسول الأمم فى روما، يسكب سكيناً، ووقت انحلاله قد حضر، ولم يكن إلى جواره غير لوقا الإنجيلي، أرسل يطلب حضور الإنجيلي الآخر، مار مرقس، ليكون إلى جواره، يعاونه فى الخدمة.

وظل مار مرقس إلى جواره فى روما، حتى نال إكليل الشهادة حوالى سنة ٦٧م، فرجع مار مرقس إلى الإسكندرية حيث استشهد هو الآخر سنة ٦٨ م، وتقابل مع القديس بولس فى كورة الأحياء.

مار مرقس وكنيسة روما

مرقس - بالاجماع - اشترك في تأسيسها:

إن تأسيس كنيسة روما يقف بين رأيين: الرأى القوى فيهما، الثابت من الكتاب المقدس، إن مؤسسها هو بولس الرسول، والرأى الثانى الضعيف الذى لا يثبت أمام الحقائق الكتابية، فهو أن كنيسة روما أسسها بطرس الرسول.

وقبل أن نناقش هذين الرأيين، نقول أنهما كليهما -رغم تعارضهما- يجمعان معاً على اشترك مار مرقس فى تأسيس كنيسة روما.

إذن فمار مرقس قد كرز فى روما. وهذا هو رأى الكاثوليك أيضاً، الذين يقولون كذلك أنه من أجل روما وأهلها كتب "إنجيله". ويبالغ البعض منهم فيقول إنه كتب الإنجيل باللغة اللاتينية، وان كان فى الواقع قد كتبه باليونانية.

وسنحاول أن نسترشد بالأسفار المقدسة لنرى عمل مار مرقس فى روما، ثم نسأل رأى التاريخ فى ذلك. أما الكتاب المقدس فيقول بصراحة تامة أن مار مرقس قد عمل مع بولس الرسول فى تأسيس كنيسة روما. فما الدليل على ذلك؟

مار مرقس يعمل مع بولس الرسول

• فى رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسى التى كتبها من روما أثناء أسره الأول، يقول: "يُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ ارِسْتَرُخُسُ الْمَاسُورُ مَعِي، وَمَرْقُسُ ابْنُ اخْتِ بَرْنَابَا، الَّذِي اخَذْتُمْ لِأَجْلِهِ وَصَايَا. إِنْ أَتَى إِلَيْكُمْ فَاقْبَلُوهُ، وَيَسُوعُ الْمَدْعُوُّ يُسْتَسْ، الَّذِينَ هُمْ مِنَ الْخِتَانِ. هُوَ لَأَيُّهُمْ الْعَامِلُونَ مَعِي لِمَلَكُوتِ اللَّهِ...". (كو ٤ : ١٠، ١١).

فهنا يقول القديس بولس الرسول لأهل كولوسى أن مرقس موجود معه فى روما، يسلم عليهم، وأنه من القلائل العاملين معه لملكوت الله.

• وفي رسالة بولس الرسول إلى فليمون التي كتبها أيضاً من روما أثناء أسره الأول، يقول أيضاً: "يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَبْفَرَسُ الْمَأسُورُ مَعِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، وَمَرْقُسُ، وَأَرِسْتَرخُسُ، وَدِيمَاسُ، وَلُوقَا الْعَامِلُونَ مَعِي" (فل ٢٤).

وهنا نرى القديس مرقس مرة أخرى يعمل مع بولس الرسول في تأسيس كنيسة روما. بل يضعه القديس بولس الرسول في مقدمة العاملين معه، قبل ارسترخس وديماس ولوقا الإنجيلي.

• وأثناء الأسر الثاني للقديس بولس في روما، يكتب من هناك رسالته الثانية إلى تلميذه القديس تيموثيوس، يقول له فيها: "لُوقَا وَحَدَهُ مَعِي. خُذْ مَرْقُسَ وَأَحْضِرْهُ مَعَكَ لِأَنَّهُ نَافِعٌ لِي لِلْخِدْمَةِ" (٢١: ٤).

وهنا نرى أن لوقا الإنجيلي وحده لم يكن كافياً للخدمة في روما، فاحتاج بولس الرسول إلى مار مرقس بالذات. وقد ذهب مار مرقس فعلاً إلى روما، وبقى إلى جوار بولس الرسول. ولم يرجع إلى الإسكندرية إلا بعد استشهاد رسول الأمم العظيم.

ب- القديس بطرس والقديس مرقس

وفقاً للتقليد السرياني فإن القديس بطرس يعتبر هو مؤسس كنيسة أنطاكيا. وعلى الرغم من أن القديس بولس والقديس برنابا قد كرزا وخدموا في أنطاكيا في البداية (أع ١١: ٢٥-٢٦)، إلا أنهما لم يكونا قد تمت سيامتهما كرسول بعد حتى تم ذلك في أنطاكيا (أع ١٣: ١-٤). وإذ أرسلوا بواسطة الروح القدس، سافروا إلى سيلوكية ومنها إلى قبرص. وقد رافقهما القديس مرقس في قبرص (أع ١٣: ٤). ثم خدم القديس بولس في أنطاكيا في زيارات أخرى، لكنه قابل القديس بطرس هناك حيث كان القديس بطرس قد بدأ يأخذ سلطة الرئاسة في أنطاكيا، فقاومه مواجهة لأنه كان ملوماً (غل ٢: ١١-١٥).

لكن القديس بطرس قد كتب في رسالته الأولى "تُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ الَّتِي فِي بَابِلَ الْمُخْتَارَةَ مَعَكُمْ، وَمَرْفُسُ ابْنِي" (١ بط ٥: ١٣). مما يدل على أن هذه الرسالة لم تكتب في روما ولم ترسل إلى أهل روما إنما "إلى الْمُتَعَرِّبِينَ مِنْ سَنَاتِ بُنُوسٍ وَعَلاطِيَّةٍ وَكَبْدُوكِيَّةٍ وَأَسِيَّا^٢ وَبِيثِينِيَّةٍ، الْمُخْتَارِينَ" (١بط ١: ١).

يدعى بعض الدارسين أنه ليس من الواضح أين تقع "بابل" المذكورة هنا، لكن بالنسبة لنا بابل هي في الشرق حيث تقع العراق حالياً في قارة آسيا وهي ترتبط مباشرة بكنيسة أنطاكيا، مما يثبت أن القديس بطرس كان في آسيا في الوقت الذي كتب فيه رسالته الأولى.

ونستطيع أن نفهم أن القديس مرقس زار القديس بطرس في منطقة آسيا وكان يصغره سناً لذلك دعاه "إبنى".

والتقليد الرسولي يوضح مراعاة السن في مخاطبة الآخرين عموماً وليس لمن لهم الرتب الكهنوتية فقط. فيكتب القديس بولس إلى الأسقف تيموثاوس "لَا تَرْجُزْ شَيْخاً بَلْ عِظْهُ كَأَبٍ، وَالْأَحْدَاثَ كَأَخَوَةٍ، وَالْعَجَائِزَ كَأُمَّهَاتٍ، وَالْحَدَنَاتِ كَأَخَوَاتٍ، بِكُلِّ طَهَارَةٍ" (١ تي ٥: ١-٢). وهذا يبين أن القديس بطرس من الطبيعي أن يخاطب القديس مرقس بصفته ابن حيث أنه يصغره سناً.

ج- نظرة آباءية عن الدور التاريخي لروما والأسكندرية في حفظ وحدة الكنيسة:

إن العلاقة الرائعة المؤسسة على الحب والاحترام بين كنيسة روما وكنيسة الأسكندرية ساعدت في الحفاظ على الإيمان وحفظ وحدة الكنيسة خلال القرون الأولى.

^٢ في العهد الجديد، كتب القديس يوحنا في سفر الرؤيا "إلى السبع الكنائس التي في آسيا" (رؤ ١: ٤، ١١) والمقصود بأسيا هي آسيا الصغرى حالياً. وتاريخياً، بدأ القديس يوحنا يأخذ مسئولية الكنائس في آسيا الصغرى بعد شهادة القديس بطرس والقديس بولس (هذا ما يقوله المؤرخ شاف في "تاريخ الكنيسة المسيحية" Philip Schaff, *History of the Christian Church*, Vol. I, Eerdmans Publishing Company, Grand Rapids, Michigan, (1988, p.425).

كان رؤساء الكنيستين من القديسين ولذلك كانوا متواضعين متمثلين بالرب الذي قال "إَحْمَلُوا نِيرِي عَلَيْنِكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي لِأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعٌ الْقَلْبِ" (مت ١١ : ٢٩). لقد فاق اهتمامهم بالإيمان وبوحدة الكنيسة على كل اهتمام آخر على الأرض فكان هذا سبباً في نجاحهم كقادة للكرسيين العظيمين.

في الاقتباسات التالية نجد أن القديس كيرلس بابا الإسكندرية يقول أن "بطرس ويوحنا متساويين في الكرامة"، والقديس كليستينوس بابا روما لا يعترض ولا يدع الرئاسة لبطرس. علاوة على ذلك، فقد أرسل القديس كيرلس شروحاته الإيمانية وردوده على الهرطقة النسطورية فقبلها القديس كليستينوس بشكر ومديح كثير قائلاً لقديس كيرلس أنه قد فاق أسلافه الذين اشتهروا بالدفاع عن الإيمان وكانت لهم المعرفة الرسولية.

كما أن كتابات كلا من القديس باسيلوس والقديس غريغوريوس النزينزي تفهمنا كم كان القديس أثناسيوس مبعلاً في أيامه، وكيف كانت الكنيسة الجامعة تنظر إليه كقائد للكنيسة كلها في كل العالم. إن عظمة أثناسيوس وكونه المرجع والمرشد في العقيدة والإيمان كانت حقيقة ثابتة لدرجة أن يوحنا الأنطاكي نفسه قد شهد بذلك بعد أكثر من قرن من الزمان.

فيما يلي الاقتباسات بالتفصيل:

كتب القديس كيرلس السكندري يقول:

"لأن وحدة الكرامة لا توحد الطبائع، فبطرس ويوحنا متساويين في الكرامة مع بعضهما البعض، في أنهما رسل وتلاميذ مقدسين، إلا أن الإثنين ليسا واحداً. هكذا في الحقيقة لا يجب أن نظن أن طريقة "الاتصال" هي وفقاً "للمجاورة"، لأن هذا لا يكفي للوحدة الشخصية، ولا وفقاً لمشاركة غير جوهرية، لأننا نحن الذين نلتصق بالرب بحسب الأسفار، لسنا روحاً واحداً معه، لكننا بالحري نرفض تعبير "اتصال" لكونه غير كافي في وصف الاتحاد".^٣

³ St. Cyril of Alexandria, Letter 1-50, vol. 76, translated by John I. McEnerney, The Catholic University of America Press, Washington D.C., Letter 17 par 10, P. 84.

هذا ما كتبه القديس كيرلس فى رسالته إلى نسطور (الرسالة ١٧) التى أصدرها المجمع المقدس السكندرى والتى فيها شرح الإيمان القويم بخصوص سر التجسد، وختم رسالته هذه بحرومه الإثنى عشر الشهيرة ضد نسطور. فقد كتب القديس كيرلس العبارات السابقة للرد على الأفكار الهرطوقية لنسطور.

والأقوال السابق ذكرها تمدنا بدليل قوى على أنه لم يكن هناك وجود ولا أساس لفكر الرئاسة مطلقاً فى الكنيسة الأولى. فالقديس كيرلس يذكر بطرس بالاسم.. وطبعاً نفس الأمر ينطبق على باقى الرسل.

لقد تسلم القديس كليستين بابا روما الرسالة ١٧ السابق ذكرها الموجهة من القديس كيرلس إلى نسطور، مع رسالتى القديس كيرلس السابقتين لنسطور أيضاً (الرسالة ٢ والرسالة ٤). وقد ذكر ذلك بوضوح فى الرسالة ١١ من كيرلس إلى كليستين فى الفقرة ٩ حيث قال:

"لقد أصدرت وثائق تتضمن مقتطفات من العبارات الرئيسية. وطلبت ترجمتها حسبما يتسنى لرجال فى الأسكندرية، وأعطيت للمحبوب بوسيدونيوس الرسائل التى كتبتها موصياً إياه أن يوصلها إلى قداستكم."^٤

وجدير بالذكر أن القديس كليستينوس بابا روما لم يرفض ولم يعترض على أى عبارة فى الرسائل السابق ذكرها، لكنه حينما تسلم رسائل القديس كيرلس إلى نسطور كتب بفرح إلى القديس كيرلس ما يلى:

"نحن نفرح إذ نرى أن مثل هذه اليقظة ممثلة فى تقواكم حتى أنكم تفوقتم على أسلافكم، الذين كانوا دائماً مدافعين عن التعليم المستقيم. وحقاً تنطبق عليك جداً الشهادة الإنجيلية التى تقول أن "الراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف."^٥

بطريقة رائعة قال القديس كليستينوس بابا روما للقديس كيرلس بابا الإسكندرية مكرماً إياه أنه قد فاق على أسلافه بما فيهم العظيم القديس أثناسيوس.

عن القديس أثناسيوس سلف القديس كيرلس كتب القديس باسيليوس يقول:^٦

⁴ Ibid., letter 11, par 9.

⁵ Ibid., Letter 12, par 2, p. 68.

⁶ Michael Whelton, *Pope's and Patriarchs*, Conciliar Press, California, 2006, p. 122-123.

"من هو الذى له قدرة أكثر منك فى نكائك وفطنتك؟ من أحكم منك فى رؤية الأمور التى تحتاج معالجة؟ من له خبرة عملية فى عمل سياسة نافعة؟ من يشعر أعمق منك باضطرابات الأخوة؟ من فى كل الغرب مكرّم أكثر من شعرك الرمادى المبجل؟"^٧

"كلما زادت أمراض الكنائس نمواً كلما نلجأ كلنا لفخامتك، فى إيمان بأن قيادتك هى القيادة المعزية الباقية لنا فى اضطراباتنا".^٨

"... أى لا يبدأون بداية أكثر تناسباً إلا بالاستعانة بفخامتك، كما بالرأس ورئيس الكل".^٩

"إذ أوجه نظرى فى اتجاه وقارك؛ أتذكر أن ربنا عيّنك طبيباً لأمراض الكنائس؛ فاسترد روحى".^{١٠}

ومما كتبه القديس غريغوريوس النزينى فى خطبته رقم ٢١ "عن العظيم أثناسيوس، أسقف الإسكندرية" نقتبس ما يلى:

"بهذه الكيفية نشأ وتربى، كما يكون الحال مع من يرأسون الشعوب، ويأخذون طريق جسد المسيح القوى، وفقاً لمشيئة الله وسابق علمه، قبل تأسيس الأعمال العظمى، فقد تقلد هذه الخدمة الهامة، وجعل واحداً من المقربين من الله المقرب إلينا، واعتبر مستحقاً للرتبة والدرجة المقدسة، وبعد أن دخل فى سلسلة الرتب الكنسية (باختصار) عهد إليه بأن يكون الحاكم الرئيسى على الشعب، بكلمات أخرى، أن يكون مسئولاً عن العالم كله: ولا أقدر أن أقول إن كان قد قبل الكهنوت كجزء لتقواه، أم ليكون ينبوع وحياء للكنيسة... لذلك، حينما خذلنا أقيم لنا قرن خلاص وحجر زاوية أساسى، يربطنا به وبيعضنا البعض".^{١١}

"هكذا كان أثناسيوس بالنسبة لنا، حينما يكون حاضراً، هو عمود الكنيسة".^{١٢}

⁷ St. Basil, Letter LXVI, Nicene and Post Nicene Fathers, Second series, Vol. VIII.

⁸ St. Basil, Letter LXXX.

⁹ St. Basil, Letter LXIX.

¹⁰ St. Basil, Letter LXXXII.

¹¹ N & P.N. Fathers, vol. 7, Gregory Nazianzen, *On the Great Athanasius, Bishop of Alexandria*, point 7.

¹² Ibid., point 26.

"كان الأول بل الوحيد، فيما عدا قليلين ممن اتفقوا معه، الذى تجرأ واعترف كتابةً بوضوح وتمايز كامل، بوحدة اللاهوت والجوهر للثلاثة أقانيم، وهكذا حقق فى الأيام الأخيرة بتأثير الإلهام لنفس الإيمان فيما يخص الروح القدس، ما وهب فى زمن سابق لأغلب الآباء فيما يخص الابن. هذا الاعتراف، وهو حقاً هدية فخمة وملكية، قدمها للإمبراطور، فى مقابل البدعة غير المكتوبة، بياناً مكتوباً للإيمان الأرثوذكسى."^{١٣}

فكيف نقول أن بابا روما كان رأس الكنيسة حينما كان القديس أثناسيوس (وفقاً للقديس غريغوريوس النزينزى) قد عهد إليه أن يكون الحاكم الرئيسى على الشعب، أى أن يكون مسئولاً عن العالم كله. ونسأل أين كانت الوظيفة البطرسيية المدعاة لبابا روما فى ذلك الوقت!؟

عن أسلافه كتب القديس كيرلس ما يلى عن القديس أثناسيوس:

"وفى كل موقف، زين أبانا أثناسيوس، ذو الذكر المبجل، كرسى كنيسة الإسكندرية على مدى ست وأربعين سنة، واكتسى بمعرفة رسولية غير مقهورة فى النضال ضد سفسطة الهرطقة غير الأتقياء، وأبهج العالم جداً بكتابه كرائحة طيب زكية والكل يشهد لدقة وورع كتاباته."^{١٤}

كان القديس كيرلس هو أول من قال أن القديس أثناسيوس له "معرفة رسولية"، وبهذا هياً الطريق للقب "الرسولى" الذى أسبغته الكنيسة على العظيم أثناسيوس.

فى نفس الرسالة كتب القديس كيرلس ما يلى:

"لذلك فإن أثناسيوس هو رجل جدير بالثقة ويستحق أن يكون مؤتمن، حيث أنه لم يقل شيئاً لا يتفق مع الأسفار المقدسة. فكيف يحيد رجل بهذا التائق والمجد عن الحق، هذا الذى كان مكرماً من الجميع حتى هذا المجمع المقدس العظيم، أقصد مجمع نيقية، الذى اجتمع فى ظروف حرجة. لم يكن قد بلغ رتبة الأسقفية، لكنه كان ينتمى إلى فئة الإكليروس، إلا أنه بسبب حصافته ولطفه أيضاً، وبسبب عقله الذى ليس له نظير الفائق البراعة، كان فى زمانه مرافقاً للبابا

¹³ Ibid., point 33.

¹⁴ St. Cyril of Alexandria, Letter 1-50, vol. 76, translated by John I. McEnerney, The Catholic University of America Press, Washington D.C., Letter 1, par 6, p. 15.

ألكسندروس الطيب الذكر. كان مقرباً من الكهل كإبن لأبيه، قائداً في كل ما هو مفيد وهو الذى بين الطريق جيداً فى كل شئ كان يجب أن يعمل.^{١٥}

وفى الرسالة ٣٩ كتب:

"أبانا كلى المجد أثناسيوس."^{١٦}

وفى رسالة من يوحنا الأنطاكى إلى القديس كيرلس بابا الإسكندرية مرسله عن طريق بولس أسقف إميسا (ملحق ٣) كتب ما يلى:

"وهذا أيضاً أبهجنا حينما علمنا أنك قبلت بفرح عظيم رسالة المبارك أثناسيوس الأب المشترك لنا واعتبرتها كافية لفض الخلافات بالنسبة للجميع، ليس فقط لصحتها، ولكن أيضاً للثقة فيه أنه يبطل الخلاف. فليكن بالنسبة لنا المفسر الوافى للإيمان الموضوع بواسطة الآباء القديسين بنية.^{١٧}

وفى رسالته رقم ٦٦ الموجهة إلى القديس كيرلس كتب يوحنا أسقف أنطاكيا ما يلى:

"مثلث البركات والنبيل أثناسيوس."^{١٨}

هذه وغيرها الكثير تثبت أن باباوات الإسكندرية كانوا رواداً وقادة يقدم لهم الاحترام من الكنيسة الواحدة الجامعة الرسولية فى العالم كله. لقد دافع باباوات الاسكندرية عن الإيمان ضد الوثنية وضد الهرطقات. لقد حاربوا ضد كل الهرطقات فى أيامهم خلال تعاليمهم الكتابية المقدسة والرائعة والمبهرة. هم الذين وضعوا قانون الإيمان، وشرحوا عقيدة الثالوث وفسروا سر تجسد الابن. وبذلك حفظوا وحدة الكنيسة على مدى القرون بتعليمهم المقنع وثباتهم ضد الهرطقات.

¹⁵ Ibid., Letter 39, par. 8, p. 152.

¹⁶ Ibid., Vol. 77, Appendix 3, p. 185.

¹⁷ Ibid., Vol. 76, Letter 43, par 4, p. 185.

¹⁸ Ibid., Vo. 77, Letter 66, par 5, p. 57.

تاريخياً، لا يقدر أحد أن ينكر أن باباوات الإسكندرية هم الذين عانوا وتكبدوا أكثر من الجميع (النفى والسجن والتعذيب إلخ) من أجل الحفاظ على الإيمان ولكي يسلموه كما تسلموه. نسأل بركتهم وشفاعتهم من أجل وحدة الإيمان ووحدة كل الكنائس في أيامنا من أجل مجد الرب. أمين.

د - الخلاصة

يجب اعتبار المجمع المسكونى هو السلطة العليا فى الكنيسة فى كل العالم. لا تعطى سلطة رئاسة لآى بطريرك فوق الآخرين مثلما كانت الكنيسة فى أيام الرسل. يسوع المسيح هو رأس الكنيسة فى العالم كله فى كل الدهور. عودة وحدة الكنيسة يكون عن طريق الحوارات اللاهوتية التى تقود إلى وحدة الإيمان "رَبُّ وَاحِدٌ، إِيْمَانٌ وَاحِدٌ، مَعْمُودِيَّةٌ وَاحِدَةٌ" (أف ٤ : ٥).